وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

كتابُها

شعر

بيان الصفدي

من الشعر العربي ١٩٣

كتابُها

تصميم الغلاف

عبد العزيز محمد

بيان الصفدي

كتابُها

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١١م

- ٣ -

كتابها : شعر / بيان الصفدي . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م . - ١٦٠ ص؛ ٢٠ سم.

(من الشعر العربي؛ ١٩٣)

١ - ٨١١,٩٥٦١ ص ف د ك ٢ - العنوان
٣ - الصفدي ٤ - السلسلة

مكتبة الأسد

من الشعر العربي

«١٩٣»

«وقال لي:

إذا رأيتَ النارَ فقعْ فيها، ولا تهرُبْ، فإنك إنْ وقعتَ فيها انطفأتْ، وإنْ هربتَ منها طلبَتْكَ وأحرقتك»

النِّفَّري

مدخـل

أتذكَّر منكِ العينينِ الحانيتينِ /اللونَ الخمريَّ/ أنينَ الوقت /شَميمَ العشب المُخْضلِّ/ كواكبَ تهمي من أثوابٍ تهوي/ شلاَّلَ الشعرِ/سحائبَ عطرٍ تأخذُ بي نحو الأعماق السحرية للنهر المتَدفِّقِ من عُريٍ يتهادى/ قمرَ السُّرَّةِ وهو يضيء الصبحَ/ اَلنهدَ الغافي في مُخْملهِ/ ساقيةَ العسل الذائب في نار الساقين السَّكرى/ شَبَقَ الأردافِ/ نثيثَ الأطراف الحَرَّى/عَبَقَ الصدرِ/ كأني أقبضُ هذا الجمرَ الحارقَ والدَّافقَ من حوضِ امرأة تتعرَّى *

أتذكَّر أنكِ بين يديَّ/ وأنكِ مثلُ ملاكٍ معجون بالنارِ/ تَراخى فوق سريرٍ يُمْسكه بالأنفاسِ/ وأنك معجزة كبرى *

يا صاحبةَ الجسد القُدُّوسِ.. الذاهبِ في بهجته في هذي الوحشةِ/ يا صاحبةَ العينين القابضتين على روحي/ كوني ناراً وسلاماً فيَّ /وكوني كلَّ نسائي/ كوني الماضيَ والحاضر والوقتَ الباقي في عينيَّ/ وكوني اليقظةَ والحلم النائي/ كوني

مِعراجي/ كي أرقى بقبابك حتى ألمسَ سبعَ سماواتٍ في روحي/ حين يُغَلْغِل ماؤكِ فيها حتى تتمدَّدَ سَكْرى *

سأدقُّ نوافذ قلبك ليلاً ونهاراً/ سأمرِّغ روحي في عَتَبات الذكرى *

فسلاماً يا امرأةً تصنع إكسيرَ حياتي/ وتُلملم دمعَ الروح المتناثرَ في هذا التيهِ/ سلاماً يا امرأة تكتب في القلبِ/ ولا تمحو/ يا امرأةً لا تشبه أخرى.

وحدها

وحدَها

المرأة التي تستطيع أن تقطف صباحاً كاملاً

وتضعه على طاولتي

مُتبَّلاً بغيوم أصابعها

وحدها

المرأة التي عجنتها الملائكة والشياطين

البروق والزلازل

وحدها

قطفت عمراً كاملاً

ووضعته في فنجاني

وحدها

التي تقول لي:

اِشربني

في كل صباح أحلم

أن أختفي فيك

الحب

الحب دائماً يأتي بلا موعد

بعد كل هذه السنين

يدفع الباب بقبضته

يقلب كل شيء

يكوِّمنا في العتبة

ويجلس في صدر البيت

مثلَ قاطع طريق

أنفاس

كل تلك الجبال

والصحاري

والوديان

والأنهار

والمحيطات

كل تلك الدروب

والموانىء

والمطارات

كل تلك الأيام

والدموع

والابتسامات

كل تلك الليالي

كلها كانت تذوب

تتلاشى كالدخان

لحظة كنا نقيس الزمن

بأنفاسنا المشتعلة

لا يموت

الحب لا يموت

الحب يتبعثر أحياناً

ينام..

يصحو..

يتثاءب..

يركل الدنيا بقدمه

حتى لا يشعر بالضجر

حكاية

ها أنا يا حبيبتي

آهة

شهقة فرح

غيمة صغيرة

في سمائك الدامعة

بخار خفيف

يتصاعد من كأسك

من بيرتك الباردة

من شايك الدافىء

قطرة عرق

تسيل على ظهرك

أغنية خافتة

تغني لعسل عينيك

خيط في قميصك المورَّد

وردة تقطفينها

وتزرعينها في صدرك

وردة

بعد أن تقول لك كل ما يُقال

ستختبىء في عُبِّك

أغصان حولي

الليل يشهد

ليلي أنا

ليل القلب

القلب الذي يعوي مثل ذئب وحيد

في عَراء غيابك:

كن صخرةً

تراباً حتى

كن قبضة رماد

لكنه عند كل فجر

هذا القلب نفسه

كان يترقرق نحوك كالساقية

يكفيه فقط

أن تشربي منه رشفة

أن يروي عشبة واحدة

في حديقة عينيك

الحديقة التي لا تنام كل يوم

حتى تلفَّ أغصانها حولي

على نار هادئة

كنت أتأملك

وأنا مُطرِق

أثرثر مع أصابعك

وأنا مشغول بالقهوة التي تفور

كالأبله

ولا أعرف أيضاً

ما الذي أفعله

مع كل هذا الحب

الذي يحترق

على نار هادئة

الوليمة

لم أرَ امرأة ترتبك هكذا

تخاف.. وترتجف هكذا

لم أرَ امرأة تتعرَّى هكذا

تتساقط عنها سماء..

وغيوم سمراء

وشَفَــقَ من نبيذ.. وأقواس قزح

مع كل حركة قماش تتدلع حرائق

تركض أيائل

ودِبَبَة.. ودلافين

يركض عراة خرجوا من كهوفهم

كلهم كانوا يطوفون حول فِراشك

بسهامهم

وأسنانهم

ومخالبهم

كانوا يصطادونك لي

يقلـــبونك فوق الجمر

يا وليمتي

قالـوا

الوردة تقول لي:

لمسَتْني

الغيمة تقول:

سافرتْ معي

النجمة:

نامتْ معي

فأضأت

البحر يقول لي:

خذني إليها

لأتَّســـع!!

حالماً بقشة

عيناك تسيلان نحوي

نهرين من عسل

نهرين من قهوة

يُغرقان قلبي في بحرهما

بلا طوق نجاة

ولا حتى خشبة

وعليه أن يتخبَّط وحده

حالماً بقشة واحدة منك

لخلاص مستحيل

أنتِ شجرتي التي تُسقِط أوراقَها الريح

لا يعرِّيها الخريف

لا تهجرها عصافير روحي

أنت شجرتي

على جذعك أرتاح..

الشجرة التي لا يُعَرِّيها الخريف

وتعريها يداي

ورقةً

ورقة

عالياً

ذات صباح

كان الحَمام يرقص حولك

يفرح بالملكة التي قطعت البحار

لتلقي ببذورها إليه

أما أنا

حُوذيَّ عربتك المذهبة

فقد كنت

أحلــِّق عالياً بأجنحتك

مزهرية

سأجمعك

كمزهرية متناثرة

أقطف النحل

لعسلك

وأجمع الأجنحة

لفراشاتك

لا أكثر

أنا رجل يحلم لا أكثر

بعينيك تومضان من بعيد

تدمعان من بعيد

تغمضان عليك

وتغلقان المشهد الأخير

من حياتي

غابتي المهجورة

تعصفين بي

كأنني هَشيمُك

وتنوح ريحي بين أشجارك

يا غابتي المهجورة

عربات

في فيء أشجارك

تنام روحي

أفرشها سجّادة

لتمرَّ عليها عرباتك

وداع

هناك

حيث يحتشد الناس

ويختصرون الأرض والسماوات

كانت نظراتك تتشبَّث بي

تمسك بي كغريق

أنا القشة

التي تتمايل في أمواجك

أنا الناي

الذي كسرته كلمات الوداع

قراصنة

أتذكرين؟

أصابعي تذكر

عيناي وشفتاي

صوتي المخنوق

قلبي الذي كان يصلـــِّيك بخشوع

شموعي التي سقيتِها بدموعك

كنت أعبرك

أمخر أمواجك مثل سفينة تائهة

تاركة كل ما فيها

لقراصنتك القساة

كتف الذكريات

خصلة من شعرك اليوم

نامت على يدي

كانت تلتهب وتنطفئ

كشعلة حائرة

كحريق من حرائقك الكثيرة

التي تركتِها في كل مكان حولي

خصلة شعرك

التي تنسدل على كتف الذكريات

عريشة حب صغيرة

تتدلَّى على كتف الزمن

حتى لو رحلتِ

لا تغادرين أبداً

هذا أحد مستحيلاتك الدائمة

يبقى شيء منك دائماً

نظرة معلقة في القلب

كلمات من جمر

عطر ضائع على شرشف

جوَّال صامت

علبة زينة تبحث عن شفتيك

حَفيفــُك

رنينك المفاجيء

ظلــُّك الذي يطوف حولي

وكأنَّ القهوة تفور بين يديه في المطبخ

لا تغادرين أبداً

حتى لو رحلتِ

ميلاد

المسافات

الأنفاس التي تقطعها

تكتــُب في القلب

تكتبك فيه

سأودع هذا العام

سأحتضنه

لأنه أهداك إليَّ

ملفوفةً بغطاء من النجوم

التي تتساقط فوق ظلمتي

أنتِ

الغائبة الأكثر حضوراً

أنت!

المتعبة الأكثر جمالاً

أنت!

الخجولة الأكثر شهوة

أنت!

البعيدة الأكثر قرباً

أنت!

الأعنف حباً

وحضوراً

وحزناً

وفرحاً

أنت!

كل ملائكة الشعر

ترفرف فوق عينيك الهاربتين

من ظلمة هذه الدنيا

صوتكِ

وحده صوتك

يملأ المدينة

ويحوّل كل شيء

إلى ورد وعنب

يلامس روحي

ينتشلني من رمادي

ويطلقني

طائراً

فوق بحيرتك الزرقاء

سهر

ليلي يفتح عينيه عليك

يراقب روحك

وهي تخفق كعصفور خائف

من مخالب الصباح

عيناكِ

سأرعى عينيك المتعبتين
سأمسح عنهما غبار الزمن
سأحنو عليهما كمزهرية
كموَّال حزين في شرفة عالية
وأجعل السماء
تختبئ فيهما

كأنك ملاك

كنت ترفرفين عند نافذتي

مثل عصفور هارب من عاصفة

وعندما أفتح لك

تبكين من الألم

تبكين من الفرح

تبكين من اللذة

يقطر دمك

على الخشب

والأوراق

والسرير

والدقائق

كأنك ملاك

فوق صليب

بينهما

لا أستطيع أن أبتعد

لا أستطيع أن اقترب

وجدتها!!

سأحترق بينهما

بين الأوراق

خصلة من شعرها

تستلقي بين الأوراق

عطرها النائم

ينبعث فجأة من أصابعي

ليالٍ عديدة مرت

من دون أن تمرِّري أصابعك عليها

خصلة شعرك

بين وقت وآخر

تتلصَّص على القصائد

وأحياناً

تتطاير مع ريح الذكريات

غيمة

غيمة بقدمين

لا تسبح في سمائي

تفتح الباب

وتجلس في القلب

ورذاذها الخفيف

يرشق الروح

التي تئنُّ من الفرح

نحوكِ

أنتِ خرجت من زمن سحيق

يا كاهنة المعبد

وفرشت شعرك لي

حتى أتسلـــَّق السماء

نحوك

مثل فهد

هذا الحب أتعبني

انقضَّ عليَّ مثل فهد

على فريسة وحيدة

إلا منك

أمرضك

كلَّ صباح

تتسرَّبين إلى دمي

إلى عظامي

إلى تعبي الطويل

فأمرضك

سمائي

إذا كنتُ البحر

فأنتِ سمائي

ونجومي

التي تهدي مراكبي

التي تضيع فيك

فيضان

تملئينني بك

كلَّ يوم...

فأفيض

ليتني

كلَّ يوم

أحلمك ..

أحسد الأعشاب قرب بيتك

أقول:

ليتني نافذة..

قبضة باب ..

حبل غسيل

تعلــِّقين عليه دموعي

التي ستجف

بين أصابعك

تحت شمس ظهيرتك الحزينة

نداءات

اعتصريني

اجعلي من جسدي برتقالتــَك الوحيدة

قصَبةَ سكــَّرك

أنا بين يديك كالذبيحة

اِروي حقولي المتشقــِّقة

أنا طينتك ..اعجنيني

أخرجي روحي من اللهب

اِجعليها تتطاير منك كالدخان

قيامة

أنهارك

أغرقت حقولي

جمرك قَلَب موائدي

إلى رماد

رياحك

بعثرت أوراقي

وصَلاتك

ملأت دروبي

بالأجراس والصلبان والدموع

بعينيك

اغسليني بمطرك

طهِّري هوائي بأنفاسك

أضيئي ليالي ً

بعينيك

كل صباح

كلَّ صباح

أبدؤك

مثل ضوء

مثل هبة نسيم

مثل قهوة

تنتظر شفتيك

لا أحد

كلَّ صباح

أطير

أقف على نافذتك

لا أحد يراني

سواك

مخدّة

كلَّ مساء

أكون مخدة لرأسك

لا أحد يراها

سوى أحلامك

أمنية

ليتني خبزك وماؤك

ليتني الهواء الذي

يتنفسُّك

الذي يحترق

انظري هناك

على الرصيف

الذي يحترق

هو قلبي

الذي يعبرك هذا الصباح

لست مجنوناً

لست مجنوناً
عندما أكلمك في وحدتي
لا .. لست مجنوناً
عندما أراك كل فجر
تحملين إليَّ
الورد والنجوم والبحيرات
لست مجنوناً
عندما أغني لك
ولست مجنوناً
عندما أبكي تحت نافذتك البعيدة
حتى يسمعني الليل وحده

تلك المرأة

المرأة التي ضربت شواطئي كأمواج

المرأة التي حملت حديقة

ووضعتها في سريري

والتي مسحت بكفــَّيها عليّ

فصرتُ شجرة تحمل ثمارها

المرأة التي وضعت رأسها على صدري

فتحوَّل إلى جدول

المرأة التي جعلت روحي

طائرة ورقية

في سمائها

هي أنت!!

كم

كم جسراً سأبني للقاء!

كم نجمة سأسهر!

كم قلباً!

كم دمعة!

كم فرحاً

سأبكيه!

جزيرتي

أنت جزيرتي النائية

وأنا بحرك وطيرك

أرضك وسماؤك

سفينتك

وقرصانك

عندما أهزّك

عندما أهزُّك

يتساقط ثمرك عليّ

ويفوح شذا ورودك

في عتمة عينيك

روحي طائر يحوم حولك

كل يوم

محاصراً بشباكك السحرية

يخبط بأجنحته

في عتمة عينيك

كاللص

بكِ..

أولد كلَّ لحظة

أرى كل شيء يتجدَّد

حتى الشوارع والوجوه

أقبض على الزمن

أقبض على الفرح

أقبض على الشهوة

أقبض على الحلم

وأجري كاللص

كنوز

معي الآن جواهرك

أصدافك

ومراياك

وخيولك التي

تخبُّ بعربات أساطيرنا الصغيرة

عُريك

عُرْيُك

ألف حصان يجري معاً

ألف شلال

ألف صرخة

* * *

عريك

شياطين وملائكة

وقاطعو طريق

نخيل.. وبُنّ

رخام .. ولهب

ظلال ..وتراتيل

عريك

غيبوبة الأبد

التي تصنعينها بصمت

* * *

عريك الذي يصيح:

هذي كنوزي وسفني

عطري وعاجي

سلاسل ذهبي وفضتي

* * *

عريك

شهوة تدمع

وعول بلا دروب

ثلج ومطر وبروق

شهب ومجرَّات

نبع في دَغل

أجنحة تخفق في القلب

أجنحة في لهيب

سأرمي أجنحتي في لهيبك

في أنهاركِ

اِحرقيها

بَلــلِّيها بكِ

صباح من نبيذ

بحر خمريٌّ

يتموَّج

في غرفة شبه مضاءة

بحر بلا شاطىء

ولا منارة

بحر يضيع

في سماء

على سرير

في صباح

من نبيذ

قبلة

قبلتك رغيف ساخن

شفاه تأكل بعضها

جمرة تسقط في قلب

آهة لا تنتهي

نجمة بين شفتين

ساقية من الشهب

تجري في اللحم والعظم

كشجرة

أتأملك مثل درويش

وأنت بين يدي

تتمايلين كشجرة

وتتطايرين

كأوراقها

ساحرة

بسرعة أيتها الساحرة

عرفتِ كيف تقيمين في القلب

أحلم .. وتحلمين

تمدِّين قدميك

واحدةً من أهل البيت

امرأة تعبر القارّات

تضيء كمَجرَّة

تأتي وتذهب

كموجة من نار

ذلك الليل

كنا على عجل

نرتـــِّب الوقت

على دقات القلب

نشبك الأصابع

لأننا سنرحل

نتفقد أعضاءنا

قبل أن يدهمنا الموت

نسرق القبلات

قبل حلول الليل

ذلك الليل الذي سيضمُّنا بجناحيه..

ويمضي بنا نحو الهاوية

بخورك

الصدر كان يهدل

وفي طيَّة الإبطين

كان عشب الجنس يتلوَّى

ويرتعش

وعند الحوض

كنت أجمع الماء المسحور

لينصبَّ بيننا

بينما عطر الجنس

يضمِّخ المكان

صاعداً كالبخور

لا تذبل

مزهرية مشغولة

من خزف القلب

ورودها لا تذبل

لا تميل إلا لذكراك

لا تطلق عبيرها

إلا لحِضنك

حضنك الذي يهبها

القدرة على أن تحيا

أشم رائحتك

في هذه الزاوية

تلمع عيناك

وفي تلك

ألمح ساقيك

تخبــِّئان قوس قزح

دغلاً من التوت البري

ساقية من الفضة

على الشرشف

ظلــُّك يتمدَّد

ويتناثر أحياناً

في هذه المدينة كلها

أشمُّ رائحتك

وأعوي

مثل ذئب جريح

في الليل

في الليل وأنا وحيد

في الليل وأنت وحيدة

أحسُّك

مثل قمر شبه نائم

مثل نجمة تبتعد وتقترب

مثل منارة بلا شاطىء

ولا سفن

في الليل وأنت وحيدة

تكونين كثيرة عندي

دائماً تفاجئين

دائماً تفاجئين

مثل زلزال

مثل شهاب

دائماً

تعيدين ترتيب الزمان والمكان

من حولي

تطلعين من خرائبي

كرسولة

تتبعها الغزلان والينابيع

لكِ... لكِ

الشجرة تصير خضراء
لك
الصباح يؤجـــلّ حضوره
من أجل عينيك
الكأس على الطاولة
في انتظار يدك
الكلمات تتلمَّسك
حتى تكتب القصائد
القلب يناديك
كي يواصل الخفقان
النوم يأتيني
كي أحلمك

صيف

جاء الصيف

ولم تكوني في انتظاره

لم تكوني فيه

وأنا...

ماذا عليَّ أن أفعل

سوى انتظار فاكهتك؟!

الصيف... الآن خلف الباب

وسَلَّتُه فارغة

يتلصّص

الصيف يتلصَّص

من العين السحرية لبابه

قد تفاجئين

وتلقين بنفسك في شمسه

الشمس السوداء

التي تغطـــّي الدروب التي مشيناها

كأنه ميت

الصيف نائم

لا يوقظه رنين

ولا كفٌّ

ولا ضحكة

ولا كلمات

نائم ...

كأنه ميت

ثم تتلاشين

كل يوم

تخرجين من الصور

تمسحين عنها الغبار

تقلـــبين أوراقي

تقلبين أيامي

تقبلينني قبلة الحياة

ثم تتلاشين

مثل قطرة ندى

في صيف

هدية اللّٰه

حكايتنا لن يصدقها أحد

أكبر من خرافة

أغرب من المشي على الجمر

والنوم على زجاج مكسَّر

إنها هدية الله

كي تظلّ لليالي

حكاية تهدهدها

وتمنعها من النوم

كي تظل الأساطير

والغيوم

والينابيع

تسير على قدمين

أين

أين استطاع حبك أن يختبىء؟

أن ينام؟

أن يتظاهر بالنسيان؟

أسئلة بلا عدّ

تسبح في سمائك

أنت التي انفجرتِ أمامي

كنافورة من الورد والنجوم

كنهر من العسل

غرق في قلبي

إلى الأبد

هاربة

هاربة من كتاب

يحكي قصص حب

من أزمان بعيدة

آتية من فيلم

من ناي

تلك المرأة

التي تتكىء على كفـــِّها

متظاهرة

أنها لا تراني

عناقيد

تحت عريشة عنب

كنت تــدُلــِّين عناقيدَك فوقي

في صيف حار

وتهمسين لي:

أنا عريشتك

وأنت عرشي

كل هذا الظلام

سلاماً أيها الليل

اَسدِلْ ثوبك فوقنا

سلاماً أيتها النجوم

تراقصي على خصرها

الناي ينوح وينوح

غاب الليل

وأبقى لي

كل هذا الظلام

الذي يلفــُّني

عندما تغيبين

عندما تغيبين

يسكن الهواء حولي

وتصفرُّ أوراق الزمن

كل شيء

يترنـــَّح

عندها..

يبدأ الغبار

يغطـــِّي عتبة هذه الكلمات

تتسلّلين

في انتظار خطواتك

يئنُّ الطريق

يئن الممرّ

يئن الباب

وأنت تتسلـــلّين

مثل كاهنة معبد

وأحياناً مثل طريدة

وأنت تتعرَّين

بين ظلمة ونور

كنت أتلمَّس الطريق إليك

مُخْضلـــَّة مثل مزهرية

أجاهد ذلك الصباح

حتى لا يشتعل كل شيء حولك

وأنت تتعرَّين أمام المرآة

كان جسدك يصلي

روحي تتراقص حوله

تشرب من مائه

تأكل من فطيرته

وتتركه لأصابع الصباح

معلَّق دائماً

أنا معلـــَّق دائماً

في سمائك البعيدة

أتدلـــَّى مثل دمعة باردة

مثل جَرَس

تحرِّكه يداك

لأصلَ إليكِ

لا أنام

إلا لأحلمك

ولا أستيقظ

إلا لأتحسَّس وجودك

ولا أعيش

إلا لأجعل قلبي ينبضك

لا أمرض

إلا لأتألـــَّمك

ولا أكتب

إلا لأدلَّ أصابعي عليك

ولا أمشي

إلا لأصل إليك

حيث كلٌ شيء

في حدائقك الغنـــَّاء

حيث كلٌ شيء يتدلـــَّى

حيث كلٌ شيء يفيض

أجوعك

وأعطشك

جنائن معلّقة

منذ أن كانت لوحتك

تقبض على الغابة

ثم تــُجْلسها في معرض ألوانك

وأصابعُك التي تحلــِّق

تحمل جنائنــَها المعلــَّقة

وتــُطــْلــِق بروقها نحوي

كنتُ القنفذَ الذي يتسلــَّل إلى أخضرك

يعيش عليه

ويتكوَّر أمام يديك

لا خوفاً

بل لـــَذةً

كنت أتكوَّر

ولا أنام

* * *

أيتها الأميرة الصغيرة

يا من تمشين حافيةً

فوق رمل الذكريات

وتبنين عُشَّ أحلامي

قشةً .. قشةً

كنت تلوِّنين الألم

ثم تقتلعينه

بماس عينيك

وتسحبين فرشاة الحياة فوق رملي

فتصعدين

وتغيبين في الأفق

أراكِ فوقي

عريشةَ عنب في السماء

تلوِّح لجراري بعناقيد

ونبيذ

وأنا أترنـــَّح

بين جنائنك المعلقة

* * *

أيتها الساحرة

هكذا قفزتِ من الحكاية

انزلقتِ من فوق قوس قزح

وسقطتِ بين يديّ

ولم تكفـــِّي عن الشغب

تخلطين الليل بالنهار

والدموع بالضحكات

والرنين بالصمت

خارجةً من الكهف

من البرج المسحور

من القلعة المرصودة

لتبدأ المعجزات

الأصابع غيوم

والسرير غابة

والحلم أرجوحة

والكلمات نجوم

تتساقط في ليل القلب

ألوانك تهُبُّ نحوي

تترنـــَّح مراكبي

وتـــُسْلِم نفسها للموج

بين ماء

وسماء بعيدة

لا أحد يدلـــُّني إلاَّ منارتك

هناك

حيث أسير نحوك كالأعمى

* * *

أراك الآن

امرأةً تمسك بالقمر

وتعلــِّقه بسقف بيتي

ثم تهبط على سطحه

تسقي وردتي

مثل أميرة صغيرة

تنسج حكايتها بألوان

تتساقط من أصابعها

ومن صدرها

تتطاير نجوم تضحك

تقول لي:

قلــِّبْني على جمر كلماتك

ويديك

وانثرْ رمادي المقدس

فوق لحمك وعظمك

لتعيش عمرًا آخر

تصيح بي:

خُذني

على طــَبَق من لهب

وداع

الماءَ.. الماءَ.. الماءْ! *

أنا لستُ سوى رجل ظمآن يَهْذي/ يبصر أشباحاً ودخاناً يتمايل حولي في هذا الكهفِ المسدودِ/ أصوِّر أشياءً أتخيَّلها/ أنقشها في حَجَر القلبِ/ وأتركها للعابر والعاثر مثلي في هذي الدنيا *

أنا نصفك أيتها التفاحةُ/ يا من ألقاك اللهُ إليَّ/ فأيقظ جنات من أعناب ونخيلٍ/ فيها أنهارٌ من عسل تجري/ ألبسَك الأسرارَ/النارَ/ وألقى فيكِ سَعيرَ اللذةِ/ أعطاكِ المركبةَ الذهبيةَ/ تجري بوعول الرغبة/ لا يوقفها بحرٌ أو قفرٌ/ يا حوَّاءُ انطلقي!/ حَفَّ بك العشاقُ كنحلٍ/ وأنا درويشٌ يجلس قرب خزائنِ جنيَّات في شكل نساءٍ/ يتلهَّى بتأمُّل هذا المشهدِ/ .. بالكِسْرة بعدَ الكِسرة تُلقى من خبزكِ/ كي يَسْنُدَ قلباً يوشكُ أن يسقطَ في جُبٍّ/ في قلب الصحراءْ!

ثلاث نساء

(١)

كانت امرأةً تجفّ

مسحت أعتابَ عمرها

الذي عصَرَها بيديه

وتركها تنشفُ في الظل

هذه المرأة

التي لا تــُعِدُّ شيئاً

ولا تــَعِدُ بشيء

لا تنتظر أحداً

ولا ينتظرها أحد

هذه المرأة التي

تنحني.. وتتقشَّر

فقط

جالسةٌ خلف الباب

وقد علاها الغبار

(٢)

حائرة بجسدها

جسدها المهروس بأسنان الزمن

مرَّة تتركه مَدْعوكاً

مرة تكويه.. وتطويه

تخبـــِّئه لمناسبات متباعدة

.. بين وجع وغثيان

أمضت سنواتها

بانتظار أن يكون لها

(٣)

من أجل ذلك تحيا

ومن أجل ذلك

لم تضع حَدَّاً لحياتها

خــُيــِّلَ إليها أنها أضاعته خطأً!

ومثلَ مجنونة

في كل يوم

في كل حفل وسهرة ورحلة وسفر

في كل حديقة وشارع ودكان وحافلة

عند كل بوابة ودرج ونافذة

تحلم أن تستعيده

ليُكــْمِلا من جديد

القصةَ التي بدأت

منذ سنوات طويلة

مرام المصري

مرام..

هكذا ببساطة

هذه المرأة التي تعبر بي شوارع باريس

مثل ملكة بتيجان كثيرة

مرام التي بدت لي وردة جلنار

في رمَّان باريس البارد

تصعد بي سلالم الحديد المتحركة

لتلقيني في مقاهٍ كأنها على كوكب مهجور

المرأة التي تحمل جراحها كأوسمة

المرأة التي تكسر سنَّ اليأس بفأس الأمل

التي تتأمَّــل ساخرة مخالب الرجال

على بابها ونافذتها وقصائدها

هي امرأة بجناحين

لا تكفُّ عن الضحك

لا تكف عن البكاء

لا تكف عن الفرح

لا تكف عن الشعر

لا تكف عن الحلم

لا تكف عن الطيران

لا تكف عن السفر

لا تكف عن الحب

كأنها مُوَكــَّلة بكل ما هو جميل

على هذه الأرض!

غالب هلسا

الرجل القادم من القاهرة

المتعب الذي كنت أراه في بغداد

صاعداً أدراج «الأقلام» التي تكاد توقف قلبه

هو ذاته الذي رأيته في دمشق

بعينين وادعتين

وابتسامة طفل أمام طائر

وخُطا لا تتسع لها كل هذه الشوارع والساحات

غالب هلسا الذي حملتُ رسالته إلى عدن

ثروتي الوحيدة التي ضممتها إليّ

إلى اليمن السعيد في الكتب الحزينة

ليعذرْني هذا الصديق!

لم أشاهده وهو يغادر دمشق إلى الأبد

ويعود أخيراً إلى الأردن

وقد ختموا على جوازه

بأنه «دخل متوفياً»

الإسكندرية

عندما نمت أول ليلة
في فندق «كليوباترا»
كانت الريح تدقُّ النوافذ
حلمت بأناس جاؤوا من وراء البحار
أطلقوا المدافع
عجنوا المدينة بالصراخ والدموع
حلمت بكتب من الحجارة والطين
بنساء مثل فراشات تحطُّ على القلوب
في الصباح
كان المطر يضرب كل شيء
وقطعان الغيوم تسرع إليّ
لقد كان صباحاً يغرق في دموعه!

مؤيد نعمة

أنا هنا

مؤيد أين ذراعاك؟

لماذا غرق زورقك في الرمل

في التراب

في الأفق؟

لماذا احترقت ألوانك في أصابع من فحم؟

مؤيد

لا تترك قلبي يتمايل مثل قارب معطوب

احملْ له قليلاً من هواء بغداد

من ألوانك التي تصرخ في سمائها

كالنذير

كالراية

كالقلب

.. الذي لا يملؤه

إلا حلم

ما زال يتكسَّر على أدراجها

في سراديبها

تحت النخل المذبوح

الورد المهروس بالعجلات

العشب المسحوق تحت الجنازير

الصراخ المختنق

في دهاليز الحرية ذات المخالب والأظفار

ذات الماء الأسود

والكلاب المدرَّبة

* * *

هذا الصباح

أجلسناك أنا وعلي المندلاوي بيننا

أجل أيها النائم الحالم

كنت كعادتك دائماً

رجلاً معجوناً من غيوم وسنابل

كعادتك تحضن صور النساء والحدائق والأطفال

وتتأوَّه

تركت أعيننا تغرورق

لأنك ذاهب إلى الصمت

ونحن ذاهبون إلى الألم

إلى كرسيك الفارغ

إلى عينيك المُحــدَّقتين في الفراغ

إلى ابتسامتك التي جَمَدت في مكانها

مؤيد

توزَّعْنا حضورَك

حتى لا نغيب نحن

* * *

مؤيد

من أجل بغداد

التي تبتسم تحت مطر الدم

ارفع يدك

اهمس لنا

اجعل أصابعك من جديد

ترسم شيئاً لهذا الصباح الشاحب

الذي يتحرك بطيئاً وثقيلاً

مثل كاسحة ألغام

نحو حلم قد ينفجر أمامنا

في أية لحظة

مؤيد ستبتسم بخبث، وتقول:

إنهم قادمون لاغتيالي

لأن قلبي خذلهم

ومضى بي إلى الصمت قبلهم

مؤيد

أخبرني

هل مازلت ترسم للأطفال؟

الأطفال الذين يشيخون باكراً!

هل سنظل معتوهين

في دولة هذا العقل كله!

ممسوسين بطفولة حافية

على رخام أيامهم؟

طفولة أسمال

وأصابع مرفوعة للسؤال

الذي يهرب منه الجميع!!

شظايا فقط

السياب لم يمت

مازال هناك

واقفاً عند شطِّ العرب

ملوِّحاً بيده

لم يتعب

لم ينم

وللمصادفة لم يمت

اطمئنوا

لقد رأيته بعينيّ

شظايا فقط

أصابت معطفه الرمادي

وإلى الآن

مازال في مكانه

ملوِّحاً بيده للعابرين

عاشقة

على شطِّ العرب

كانت فتاة تجلس وحيدة على مقعد

بلا نخلة تظلـــِّلها

في كل هذا الصمت

حيث لا مركب

ولا مارَّة

ولا نورس

ولا غيمة

تنتظر حبيبها أن يعود

من المكان الذي هو فيه

من السجن

من المعركة

من المنفى

من المذبحة

من العمل

من المكان الذي هو فيه

منذ سنوات!!

الخليل

في ساحة من ساحات البصرة
رأيت الخليل بن أحمد الفراهيدي
صامتاً كالتمثال
بلا قلب
بلا صوت
بلا كوخ
بلا تلاميذ
بلا «عين»
لا أحد حوله
إلا رجال من «قوة حماية الشخصيات»

شارع العشرين

«شارع العشرين» في بغداد
تقف فيه فتاتي على الموقف
الموقف الذي يغيِّرنا كل يوم
الذي يجعلنا ملائكة بأجنحة
سرعان ما تتساقط عنا!
تلك فتاتي التي جعلتني لا أنام الليل
أن أبكي وأمرض من الحب
إنها هناك
واقفة طوال هذه الأعوام
في شارع الموت
وقد تيبَّست الورود
بين يديها

الكهرمانة

الكهرمانة

تصبُّ الزيت المغليّ في الجــِرار

لا أحد فيها

الكهرمانة تقول باكية:

لقد بدَّلوا الجرار

واختفى كل من فيها

شارع الرشيد

في شارع «الرشيد»
نعبر خطفاً
حتى لا يبصرنا الموت
لم يبقَ سوى الأعمدة...
أعمدة
لا تستطيع
حتى أن تسند أنفسها!

المنصور

- إلى فاروق يوسف -

أبو جعفر المنصور
كان هادئاً طوال قرون
يتأمَّل أحفاده على أسوار بغداد
في مدينة السلام التي بناها
إنه يبكي الآن!
في مدينة القتل وقــُطــَّاع الطرق
مدينة الأقبية والسجون السرية
مدينة نقاط التفتيش وحواجز الإسمنت
مدينة فِــرَق الموت
التي نسفت رأسه
... النائم على كتف المدينة!!

المتنبي

نكّسوا راية الشعر
جدي المتنبي
الذي كان ساحر كلمات
جدي الذي أراد ذات يوم
أن يصير نبياً
في بادية الأعاريب الذين أحبهم
حتى عند الموت
ساحر الكلمات هذا
أصرَّ أن يقتله
فاتك *
ابن
جهل!

* فاتك بن أبي جهل هو قاتل المتنبي

أمي

الآن سأكتب إليك يا أمي

أنت الأمية

والتي قرأْتِني أكثرَ من الجميع

التي ربيتِني مثل غرسة نافرة

التي لا أنام

إلا وأنا مغمض عليك

ولا أستيقظ

إلا لألتجىء إلى ظلك

بلمساتك

كنت تــُبعدين عني

الحسدَ والرصدَ

والنساء الجنيات اللواتي يترصَّدْنني!

* * *

أمي

ستظلُّ يداك المرتعشتان

تغسلان ثيابي

وأنت تترنـــّحين من التعب

ستعدّين لي فطائر الصباح

ثم تضيئين بابتسامتك

كل شيء

ولا تغلقين عينيك إلى الأبد

سوى أمامي

* * *

أمي

العشب صار قشاً

الورود مالت بأعناقها نحو وجهك

البيت الذي امتلأ بك

خلعت أوتاده الريح

وها أنا الآن

أذوي وأتقصَّف

مثل حديقتك الصغيرة

* * *

أمي!

قولي لي

كيف استطعتِ إلى الآن

بابتسامة من القلب

إخفاء كل هذا الألم؟!

مسلخ

عند الفجر تعودين

ثوبك ممزَّق

طفولتك ممزقة

تغسلين روائحهم

عن جسدك

روائح الخمر والدخان والأنفاس

لقمتك معجونة بالعرق والدم والبصاق

لا تعُدِّين الساعات والليالي

متعبة

لهم

تعُدِّين النقود

تتمدَّدين مثل ذبيحة في مسلخ

مشاهد فرنسية

بودلير

في حديقة «لوكسمبرغ»
شمس باريس وغيمها
كانا يتناوبان المرور فوق وجهه
وسط خضرة ماجنة
و«بودلير» الآثم الكئيب
يلقي بنظرة لعلها الأخيرة
على عرب
وزنوج
وخلاسيين
وأناس شتى
يتوزَّعون المقاعد والأشجار حوله
ويكتبون قصائده بأجسادهم

دموع

فتاة كانت تشق طريقها

وسط حشود «سان ميشيل»

وسط كرة أرضية مصغــَّرة

لكنها تبكي

دموعها تتطاير على صدرها

شعرها يتلوَّى مع هبَّات الهواء

تقبض على حقيبتها

كأنها تخاف أن تفلت منها

لا تنظر خلفها

فقط تبكي

وتغيب عن العيون

جسور

سلاماً أيتها الجسور

جسور الجنرالات

جسور الصيارفة والفاتحين

جسور الفنون والعاهرات

التي تقطع وتتقطـــَّع

عبر فضاء مسدود

جائع

«أنا جائع»

مع الكلب

والقطة

وزجاجة النبيذ!

دوفيل

في المطر في أحد الآحاد

دخلنا كنيسة

لم يكن يصلي فيها

سوى الشموع

أبطال

قوائم أبطال!!
كانت تصفعني في كل مكان
قوائم أبطال
من فيتنام إلى الجزائر
من سورية إلى هاييتي
إلى الكونغو والمغرب
رجال سقطوا
كي يبقى قطـــَّاع الطرق
أكاليل من الورد
مرميَّة قرب جداريات
مثل المشانق
مثل أرجل تخوض
في مستنقعات من دم

هون فلور

هنا

احتشدت الألوان والأقلام

واللوحات والطيور

والعشاق والصيادون

والسكارى والأشجار

حتى البحر

جرَّ نفسه بتثاقل

كي يصنعوا مدينة

مترو

نحن نمل

سيل من النمل

ندخل ونخرج

من ثقوب باريس

حيث لا حَبّ

ولا حلوى

نتدفــَّق

حاملين الضجيج معنا

حتى في النوم

فرساي

في «فرساي» تساءلت:

هنا سكن الملوك

حسناً

أين سكن الناس؟

وحين شعرت "ماري أنطوانيت" بالضجر

بنوا لها قرية في غابة

بكروم

ومطحنة

ومرسم

وحظائر

وأوبرا

وصالات رقص

لكن عندما ضجر الناس

ماذا فعلوا لهم؟

والناس.. أيَّ شيء فعلوا؟

بيغال

أسواق

متاحف

مقاهٍ

مطاعم

مراقص

أقبية

بيوت

أكشاك

دكاكين جنس

واجهات بنساء لسن للعرض فقط

حيث تستطيع أن تشتري

حيث تستطيع أن تبيع

بيـر- لاشيز

مقبرة كأنها أجراس

تسمع فيها شيئاً إلى الآن

بين الخنادق والمتاريس

يخرج من التراب والحجارة والعشب

لعله أنين!

يسمِّر السفـــَّاحين

على خشبة عار لا يموت

وداعاً باريس!

وداعاً باريس!

باريس «السين»

يبقى منك شيء...

صوت

«بياف» و«بريل» و«ماتييه»

فوق الماء كنورس

حلم

جميل وجارح

مثل سهم في قلب

إشارات

- القصائد ذات الجو العراقي كتبت في البصرة وبغداد بين ٢٠١٠/٣/٢١ و٢٠١٠/٣/٣٠ أثناء مشاركتي في مهرجان المربد، ما عدا «المنصور» فقد كتبت في دمشق، و«المتنبي» مكتوبة منذ سنوات وضُمَّت إلى المجموعة.
- «مشاهد فرنسية»: كتبتها في باريس أثناء زيارتي لها شهراً منذ ٢٤ تشرين أول ٢٠٠٩.
- مؤيد نعمة: فنان تشكيلي ورسام أطفال وكاريكاتير عراقي راحل.
- علي المندلاوي: فنان تشكيلي، ورسام للأطفال.
- «الأقلام» مجلة عراقية كانت تصدر عن وزارة الثقافة، وعمل فيها غالب هلسا.
- «دوفيل» و«هون فلور»: مدينتان فرنسيتان على الساحل النورماندي.
- «سان ميشيل»: حي في وسط باريس.

- «بيغال»: من أهم أحياء تجارة الجسد في باريس.
- «بير لاشيز»: مقبرة رئيسية لشهداء كومونة باريس.
- «بياف» و«بريل» و«ماتييه» مطربون فرنسيون كبار.
- فاروق يوسف: شاعر عراقي وكاتب أطفال وناقد تشكيلي.

n

الصفحة

مدخل ٧

وحدها ٩

الحب ١١

أنفاس ١٢

لا يموت ١٤

حكاية ١٥

أغصان حولي ١٧

على نار هادئة ١٩

الوليمة ٢٠

قالوا ٢٢

الصفحة

حالماً بقشة ٢٣

عالياً..... ٢٥

مزهرية..... ٢٦

لا أكثر ٢٧

غابتي المهجورة ٢٨

عربات ٢٩

وداع ٣٠

قراصنة ٣١

كتف الذكريات ٣٢

حتى لو رحلتِ ٣٣

ميلاد ٣٥

أنتِ ٣٦

صوتكِ ٣٨

سهر ٣٩

عيناكِ ٤٠

كأنك ملاك ٤١

الصفحة

بينهما ٤٣

بين الأوراق ٤٤

غيمة ٤٥

نحوكِ ٤٦

مثل فهد ٤٧

أمرضك ٤٨

سمائي ٤٩

فيضان ٥٠

ليتني ٥١

نداءات ٥٢

قائمة ٥٣

بعينيك ٥٤

كل صباح ٥٥

لا أحد ٥٦

مخدة ٥٧

أمنية ٥٨

الصفحة

الذي يحترق ٥٩

لست مجنوناً ٦٠

تلك المرأة ٦١

كم ٦٢

جزيرتي ٦٣

عندما أهزك ٦٤

في عتمة عينيك ٦٥

كاللص ٦٦

كنوز ٦٧

عُريك ٦٨

أجنحة في لهيب ٧٠

صباح من نبيذ ٧١

قبلة ٧٢

كشجرة ٧٣

ساحرة ٧٤

ذلك الليل ٧٥

الصفحة

بخوركِ ٧٦

لا تذبل ٧٧

أشم رائحتك ٧٨

في الليل ٨٠

دائماً تفاجئين ٨١

لكِ .. لكِ ٨٢

صيف ٨٣

يتلصص ٨٤

كأنه ميت ٨٥

ثم تتلاشين ٨٦

هدية الله ٨٧

أين ٨٨

هاربة ٨٩

عناقيد ٩٠

كل هذا الظلام ٩١

عندما تغيبين ٩٢

الصفحة

تتسللين ٩٣

وأنت تتعرين ٩٤

معلق دائماً ٩٥

لأصل إليك ٩٦

حيث كل شيء ٩٧

جنائن معلقة ٩٨

وداع ١٠٤

ثلاث نساء ١٠٥

مرام المصري ١٠٨

غالب هلسا ١١٠

الإسكندرية ١١٢

مؤيد نعمة ١١٣

شظايا فقط ١١٨

عاشقة ١٢٠

الخليل ١٢٢

شارع العشرين ١٢٣

الصفحة

الكهرمانة ١٢٤

شارع الرشيد ١٢٥

المنصور ١٢٦

المتنبي ١٢٧

أمي ١٢٨

مسلخ ١٣١

مشاهد فرنسية ١٣٣

بيان الصفدي

- شاعر سوري من السويداء
- عمل في دار ثقافة الأطفال – بغداد . محرراً ثقافياً .
- عمل رئيساً للقسم الثقافي في جريدة «الثوري» اليمنية .
- عمل رئيساً لتحرير مجلة الأطفال «أسامة» . وزارة الثقافة . دمشق .
- يعمل الآن خبيراً في الهيئة العامة السورية للكتاب . مديرية التأليف .
- دخلت أعماله للأطفال في المقررات المدرسية في بلدان عربية عديدة بما فيها سورية .

الطبعة الأولى / ٢٠١١م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

«كتابها».. سبب للسعادة

بالنسبة لبيان الصفدي، الأقل من اللغة، من حضورها البلاغي يكفي، لديه شعر كثير لا يتناسب وحجم حاجته الاستعمالية للغة، ألديه حيل تقنية تعينه على استثمار اللغة في أقصى حالات خيالها؟ مَن اكتسب في صباه عادة تأنيس الأشياء كما هو الحال مع بيان لا يصعب عليه تأنيث المفردة الواحدة بكل ما تختزنه من المعاني مرة واحدة.

شعر بيان يشبهه، بيان يشبه شعره، كلاهما مقتصد بعفوية، واضح بانتباه، ومباشر بعمق، ما من حذف ولا إضافة، ما من كتابة ثانية، يحضر الشيء كما هو، الشيء باعتباره روح الواقعة ومادتها في الوقت نفسه، تحل الكلمة المناسبة كما لو أنها كلمة السر، ولا خيار آخر .

من شأن شعر من هذا النوع أن يخلق قراء سعداء برغم ما ينطوي عليه من شعور عميق بالألم، فالشعر يعيد لوظائف اللغة كرامتها داخل الجسد البشري، وهو ما يكفي لكي يكون سببا للسعادة.

فاروق يوسف

www.syrbook. gov.sy
مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١م

سعر النسخة ٩٠ ل.س أو ما يعادلها